﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ٢٧﴾ [الفتح: 27]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

رؤيا الرَّسول ﷺ حقٌّ ووعدُ الله تعالى لا يتخلَّف

لمّا قرّر الله ﷻ في ختام الآية السّابقة علمَهُ بالعَواقب وإحاطة علمِه بكلِّ شيءٍ فقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ فأظهر تبعًا لشُمول علمِه وجهَ أسباب كفِّه أيديَ الفَريقين، وبيّن ما فيهِ مِنَ المصالح وما في التَّسليط من المفاسدِ مِن قتلِ مَن حُكم بإيمانه مِنَ المُشْركين وإصابةِ مَن لا يُعلم حالُه مِنَ المؤمنين؛ لمّا كانَ كذلكَ أنتجَ هَذا قوله لِمَنْ شكَّك في صِدق رؤياه ﷺ التي رآها قبل الحُديبية وأخبر بها أصحابَه أنَّه سيدخل مكَّة[1]، لكنَّه لَم يُعَيِّن لذلكَ وقتًا، ففَرِحَ الصَّحابة ﷺ واسْتَبْشَروا وحَسِبوا أنَّهم داخلوها في عامهم، وقالوا: إنَّ رُؤيا رسولِ الله ﷺ حقٌّ. فلمّا تأخَّر ذلك عن الرُّؤيا نظرًا لِما حَدث مِن أمر الصَّدِّ؛ أقْلَقَهُم أمرُها وكاد بعضُهم أن يُزَلْزِلَه ذكرُها، واستغلَّ ابنُ أُبَيّ ومَن معه هذا التَّأخير فزادوا في التَّشكيك، فقال سبحانه مُؤَكِّدًا صدق الرُّؤيا وحصول مَضْمونها في الواقع وهو دخولُ الرَّسول ﷺ وأصحابُه مكَّةَ: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَدَقَ﴾: (صدق) تدلُّ تصريفاتُها على قوَّةٍ في الشَّيء قولًا وغيرَه. ومِن ذلك الصِّدق؛ وهو ضدُّ الكَذِب، سُمّي بذلكَ لِقوَّته في

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 332 - 333.

نفسهِ، ولأنَّ الكذب لا قوَّة له، وهو باطل[1]. وأصلُ الصِّدْقِ والكذب أنَّهما في القولِ، ماضيًا كان أو مستقبَلًا، وعْدًا كان أو غيرَه، ولا يكونانِ إلّا في الخبَر دون غيره من أصنافِ الكلام، ولذلك قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: 122][2]، ومعنى قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: جعل الله سبحانه رؤيا رسولهِ ﷺ صادقةً، فحقَّق صِدْقها عنده كما هو عادةُ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام[3]، ولم يجعلها أضغاثَ أحلامٍ[4].

2) ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ (رأى) تدورُ اشتقاقاتُها على نظَرٍ وإبْصارٍ بعَيْنٍ أو بصيرةٍ[5]؛ أي: تكون بمعنى الرُّؤية بالعين، وتتعدّى إلى مفعولٍ واحد، وتكونُ بمَعْنى العِلْم وتتعدّى إلى مفعولين. يقال: رأيتُ زيدًا عالمًا؛ أي: علمتُهُ كذلك. ورَأى رأْيًا ورُؤْيَةً وراءَةً[6]، والرُّؤْيا: ما يُرى في المنام، على زِنَةِ: فُعْلى، وقد يخفّف فيه الهمزُ، فيقال بالواو: رويا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ [الإسراء: 60]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[7].

3) ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: (حق) تدلُّ تصريفاتُها على إحكامِ الشَّيء وصِحَّته. فالحقُّ: نقيض الباطلِ، ثُمَّ يرجِع كلُّ فرع إليه بجودَةِ الاستخراجِ وحسن التَّلفيق[8]، وحَقَّ الشَّيْءُ يَحِقُّ حَقّا؛ أي: وجَبَ وُجوبًا، ومنه قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: 105]، فمعنى ﴿حَقِيقٌ﴾ [الأعراف: 105]: مَحقوقٌ، كما تقول: واجِبٌ[9]، والحقُّ: واحد الحقوقِ. والحَقَّةُ: أخصُّ منه. يقال: هذه حَقَّتي، أي: حقّي[10]. وأصلُ الحَقّ: المُطابقَةُ والموافقَة[11]، ومعنى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: صِدقًا متلبِّسًا بالحَقِّ؛ وهو القصدُ إلى التَّمييز بين الثّابت على الإيمانِ والمُتَزَلْزِل فيهِ[12].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).
(2) الراغب، المفردات: (صدق).
(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 67.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 302.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رأى).
(6) الجوهري، الصحاح: (رأى).
(7) الراغب، المفردات: (رأى).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).
(9) الخليل، العين: (حق).
(10) الجوهري، الصحاح: (حقق).
(11) الراغب، المفردات: (حق).
(12) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 131.

4) ﴿ءَامِنِينَ﴾: الفعل (أمَن) له أصلان؛ أحدهما: الأمانة التي هي ضِدُّ الخيانة، ومعناها: سكون القلب. والآخرُ: التَّصديق. والمعنيان متقاربانِ[1]، والأمن: طُمأنينَةُ النَّفس وزوالُ الخوف[2]، والأمَنَةُ - بالتَّحريك -: الأمنُ، ومنه قوله ﷻ: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: 154][3]، ومعنى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ مُطْمَئِنّين واثقين؛ آمِنينَ من العدوّ إن شاء اللّه[4].

5) ﴿مُحَلِّقِينَ﴾: (حلق) تدلُّ اشتقاقاتُها على تنحيَةِ الشَّعر عن الرَّأس، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه غيرُه[5]. ويقال للأكسية الخَشِنَة التي تَحْلِقُ الشَّعرَ بخشونَتِها: مَحالِقُ. ويُقال: رأسٌ حليقٌ، ولِحْيَةٌ حليق[6] بالمعنى نفسه؛ أي: نُحّيَ عنه الشَّعر وأُزيل. ومنه قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾.

6) ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾: (قصر) تدلُّ تصريفاتُها على عدَمِ بُلوغ الشَّيء مَداهُ ونِهايتَه، وعلى حَبْسِ الشَّيء أيضا. وهُما أصلانِ مُتقاربان. فالأوَّل: القِصَر؛ وهو ضدُّ الطّول[7]، يُقال: قَصُر الشَّيءُ - بالضَّمِّ - يَقْصُرُ قِصَرا؛ ضدُّ طالَ. والقُصْرى والقُصَيْرى: الضِّلْعُ التي تلي الشّاكِلَةَ؛ وهي الواهنةُ في أسفلِ الأضلاع[8]، وكلٌّ مِنَ القِصَرِ والطّول مِنَ الأسماء المُتضايِفَة التي تُعْتَبَرُ بغَيْرِها[9]؛ أي: يُعْتَبَرُ كُلٌّ منهما بالآخر، فيقال: أقْصَرُ مِن كذا أو أطولُ منه. ومعنى قوله: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي: تُزيلون جميعَ شُعورِ الرُّؤوسِ أو بعضَه[10].

7) ﴿تَخَافُونَ﴾: (خوف) تدور اشتقاقاتُها على الذُّعر والفزَعِ[11]. ومنه: الخوفُ وهو ضدُّ الأمن، قال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: 4]؛ وهو عبارة عن توقُّع مكروهٍ عن أمارَةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ، كما أنَّ الرَّجاء والطَّمع توقُّع محبوبٍ عَن أمارَةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ، ويُسْتَعْمَل الخوفُ في الأمور الدُّنيويَّة والأخرويَّة. كما في قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).
(2) الراغب، المفردات: (أمن).
(3) الجوهري، الصحاح: (أمن).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 274.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حلق).
(6) الراغب، المفردات: (حلق).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قصر).
(8) الجوهري، الصحاح: (قصر).
(9) الراغب، المفردات: (قصر).
(10) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 343.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خوف).

رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: 57][1]. وسائر ما في القرآنِ من ذِكْرِ الخَوْفِ هو مِن الخوفِ ضِدِّ الأمن[2]، ومعنى قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ لا تفزعونَ، بَل تَأْمَنونَ.

8) ﴿فَجَعَلَ﴾: (جعل) تدلُّ تصريفاتُها على تحويلِ الشَّيء إلى وضعٍ أو هيئة معيَّنة[3]، فالجَعْل: لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلِّها؛ وهو أعمّ من فَعَلَ وصنَعَ وخَلَقَ وسائرِ أخواتِها. ومن معاني الجَعْلِ: إيجادُ شيءٍ من شيء وتكوينُه منه، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: 72]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل: 81]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الزخرف: 10][4].

9) ﴿فَتْحًا﴾: (فتح) تَدور اشتقاقاتُها على ضدِّ الإغْلاقِ[5]. فالفَتحُ: إزالة الإغلاقِ والإشكالِ، وذلك ضَرْبانِ؛ أحدهما: يُدْرَك بالبصر، كفتحِ الباب ونحوه. والآخَرُ: يُدْرَك بالبصيرةِ، كفَتحِ الهمِّ؛ وهو إزالة الغمِّ[6]. والفَتح: النَّصر. والفَتحُ: الماء يجري من عينٍ أو غيرها. وفاتحة الشَّيءِ: أوَّله. والفتّاح: الحاكم، تقول: افْتَحْ بينَنا؛ أي: احْكم. والفُتاحة - بالضَّمِّ -: الحُكْم[7]، ومعنى قوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي: مِن قبل دخولِ مكَّة فتحًا قريبًا، يعني: فتحَ خيبرَ في قول ابنِ عبّاس، وفي قول آخرينَ: هو صلحُ الحُديبية[8].

10) ﴿قَرِيبًا﴾: (قرب) تدلُّ تصريفاتُها على ضدِّ البُعْدِ. يُقال: قرُب يقرُب قُرْبًا. وفلان ذو قَرابَتي، وهو من يَقْرُبُ منك رَحِمًا[9]. والقُرْبُ والبعد يتقابَلان. يقال: قرُبت منه أقرُب، وقرَّبته أقرِّبه قُربا وقُربانا، ويستعمل ذلك في المكانِ وفي الزَّمان، وفي النِّسبة، وفي الحَظْوَةِ، والرِّعاية، والقُدْرة[10]. والفتح القريبُ في قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أوَّلُه فتح خيبرَ الّذي وقع قبل عُمرة القضاء؛ إذْ هوَ القريبُ من زمنِ الصُّلحِ[11].

---

(1) الراغب، المفردات: (خوف).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خوف).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جعل).
(4) الراغب، المفردات: (جعل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فتح).
(6) الراغب، المفردات: (فتح).
(7) الجوهري، الصحاح: (فتح).
(8) الواحدي، البسيط: 20/ 325.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرب).
(10) الراغب، المفردات: (قرب).
(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 201.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تصديقُ الله تَعالى رُؤْيا نبيِّه ﷺ

يُؤَكِّد الله تعالى أنَّه صدَقَ رسولَه محمَّدًا ﷺ في الرُّؤيا الّتي أراها إيّاه بالحقِّ؛ حين رأى أنَّه يدخل هو وأصحابُه المَسْجدَ الحرام آمنينَ، لا تخافون أهل الشِّرك، محلِّقين رؤوسكم ومقصِّرينَها. فعَلِمَ الله سُبحانَهُ ما لم تَعْلَموا مِن المَصالح والخير فيما صَرَفَكُم به عن مكَّة في عامكُم ذلك، ودخولكم إليها بعدُ، فَجعل الله تعالى لكم فتحًا قريبًا قبل دخولكُم مكَّة؛ وهو صلحُ الحُديبية وفتح خيبرَ[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### دلالة الاستئناف في قوله ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾:

أثرُ الاستئنافِ البَيانيِّ في إبرازِ مُتابعَةِ المُتَلَقّي وشَوْقِه

فُصِلَ قول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ عمّا قبله؛ لوقوعه استئنافًا بيانيًّا[2]، وذلك لأنَّه ناشئٌ عَن سؤال مقدَّر حولَ مِصْداق قولِه تَعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فجاءَ الجوابُ في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾، فبينَ الجملتينِ على هذا شِبْهُ كمالِ الاتِّصال، وما بينَهما اعتراضٌ.

ويجوزُ أن يكون قوله: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ تأكيدًا لقولِه تعالى في الآية السّابقة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾[3]، فيكون بين الجملتينِ كمال الاتِّصال.

### الغرض من التَّعبير بأسلوب القسَم ﴿لَّقَدۡ﴾:

إزالة الرَّيب الّذي اعترى بعضَ النُّفوس

اللّام في ﴿لَّقَدۡ﴾ موطِّئة للقَسَم، فهي دالَّة على قسَم محذوفٍ، أي: والله ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾، ولامُ القسَم مِن اقْتِضاءِ الفعلِ ﴿صَدَقَ﴾؛ لأنَّها من قبيلِ تبيَّن وتحقَّق ونحوها ممّا يُعْطي القسمَ[4].

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 514.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 197.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 333.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 139.

والغرَض مِنَ القسَم إزالةُ ما لَحِقَ بعضَ النُّفوس من شكٍّ نتجَ عن تشكيكِ المنافقين لهُم في أمر رؤياهُ ﷺ الّتي كان قد قصَّها على أصحابهِ بأنَّهم سيدخلونَ المسجِدَ الحرام، فلَمّا لَم يدخلوهُ مِن عامهم الّذي صدَّهم فيه المشركون عنه؛ أشاع المنافقون وأذاعوا القولَ بالتَّشكيكِ، قائلين: أين تصديقُ الرُّؤيا، فو اللّه ما دخلنا المسجدَ الحرام، ولا حَلَقْنا وقصَّرنا؟[1]، فتأثَّر بكلامهم مَن تأثَّر، فأزال اللّه تعالى ما في نُفوسِهم مِن شكٍّ قَد اعتراها، فكانَ القسَمُ لأجلِ ذلكَ.

**معنى (قَد) ودلالَتُها ﴿لَّقَدۡ﴾:**

حَشْدُ المؤكِّدات تحقيقًا لصِدْقِ الرُّؤيا النَّبويَّة

(قَد) من قول اللّه تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ حرفُ تحقيقٍ، وهي تفيدُ تحقُّق وقوع الفعل الماضي الّذي دخَلَت عليهِ، فالفعلُ ﴿صَدَقَ﴾ دلَّ على تحقُّقه إيرادُهُ بصيغةِ المُضيِّ، وكذلك دخولُ (قَد) عليهِ الَّتي زادَته دِلالةً على تحقُّق وقوعِ هَذا التَّصديق الرَّبّاني لرؤيا رسولهِ ﷺ، فإذا ضُمَّ إليهما دلالةُ القسَم في الآية؛ تكون المؤكِّداتُ الدّالَّة على تحقُّق وقوع هذا التَّصديق متعدِّدةً ومتنوِّعة، فإذا انضمَّ إلى هذا التّأكيد الدّلالي وقوعُ المضمون بالفعل؛ وهو دخولهُ ﷺ مكَّة لأداء العمرة سنةَ سَبْعٍ في عُمرة القضاء، ثُمّ دخولُه مكَّة فاتحًا إيّاها سنةَ ثمانٍ مِنَ الهِجْرة، فلا يبقى ثمَّت مكان لتَشْكيكِ مُشَكّك، ولا لإرجافِ مُنافِقٍ.

**دلالة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿صَدَقَ﴾، وبيان وجْهِ تعدّيه إلى مفعولَيْنِ:**

تعدّي فِعْل (صدق) إلى مَفْعولَيْن مِن بابِ الحَذْفِ والإيصالِ

عُبِّر بالفعل الماضي ﴿صَدَقَ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ للدّلالةِ على تحقُّقِ مضمون الفِعْلِ. والفعلُ ﴿صَدَقَ﴾ تعدّى هنا إلى مفعولين، وهو نظيرُ قولك: صَدَقْتُ زيدًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 198.

الحديثَ[1]. فـ (زيدًا) و(الحديثَ): مفعولا (صَدَقَ). والأصل أنَّه يتعدّى بنَفْسِه إلى مفعولٍ واحدٍ، ويتعدَّى إلى المفعول الثّاني بحَرْفِ جَرٍّ، وعلى هذا فكونُ الفعلِ في الآيةِ مُتَعَدّيا إلى مفعولين؛ هو على تقدير حرفِ جرٍّ محذوفٍ، والمسمّى: الحذفَ والإيصالَ[2]، أي: على حذفِ الجارِّ وإيصالِ الفعلِ إلى المجرور بالعَمَل فيه النَّصبَ. وأصل الكلام: صدَقَ الله رسولَه في الرُّؤيا، كقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: 23][3].

**الغرَضُ مِن الإسنادِ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾:**

طَـمـأنَـةُ أهـلِ الإيـمـانِ والـرَّدُّ على إرجافِ أهلِ النِّفاق

أُسْنِد الفعلُ ﴿صَدَقَ﴾ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله سُبحانَهُ: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ لبَثِّ الاطمئنانِ في قلوبِ المؤمنين إلى تحقُّق وعد الله تعالى، ولزَعْزَعَةِ إرْجافِ المُرْجِفينَ بسبَبِ تأخُّر دخولِهم مكَّة، حيثُ دخَلوها سنةَ سبعٍ؛ لأداء العُمرة، التي سُمّيت عمرةَ القَضاء أو القضيَّة. ولأنَّ الإخبار بذلك هو مِنَ الغيب الّذي لا يعلمه إلّا الله سُبحانه، فكان في الإسنادِ إلى اسمه الأحسن مُفيدًا القصرَ والاختصاصَ بطريقِ الإيماءِ، وأنَّه صدقَ رؤيا نبيِّه لكونه الجامع لجميع صفاتِ الجلال والكمال والجمال، وهذا الجَمعُ خاصٌّ به، فيكون صدقُه الرُّؤيا خاصًّا به كذلك. وهذه الآية نزلت قبل أداءِ عُمرة القضاءِ، بقرينة قوله سبحانه في الآية: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ بجملة الاسْتِثْناءِ ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لِتُحَقِّق ما ذُكِرَ مِن تبشيرِ المؤمنين، والرَّدِّ على المُرْجِفين.

**الغرض مِن الإضافة ﴿رَسُولَهُ﴾:**

إبـرازُ عُـلوِّ منزلةِ النَّبيِّ ﷺ

أُضيفَ لفظُ (رسول) إلى الضَّمير العائدِ إلى الله سُبْحانَهُ في قوله: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ﴾ تشريفًا للمضافِ؛ وهو النَّبيُّ ﷺ،

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 139.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 67.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 198.

وفي ذلك إبرازٌ لمكانته ومرتبته المنيفة عندَ ربِّه ﷻ، وتنبيهٌ إلى وثاقةِ الصِّلةِ بينَه وبين الله تعالى، ومِن مُقْتَضى ذلك تأييدُه ونصرُه وتصديقُ ما رأى وتحقيقُه.

**الغرَضُ مِن تعريف لفظ ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾:**

الرُّؤيا معهودَةٌ معلومَةٌ

(أل) في ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ للعَهْدِ العلميِّ؛ والمقصودُ تلك الرُّؤيا التي رآها رسولُ الله ﷺ في منامِه، وقَصَّها على أصحابه أنَّ الله سيفتحُ له مكَّة، وسيدخل المسجدَ الحرام.

**سرُّ التَّقييد بالجارِّ والمجرور ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾، ومعنى الباء ودلالتُها:**

رؤى الأنبياء عليهم السلام حقٌّ، والواقع يصدِّقها ويطابِقُها

الباءُ في ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ يُراد بها الملابسةُ، وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ صفة لمصدر محذوفٍ، والتَّقدير: صِدْقًا متلبِّسًا بالحقِّ؛ أي: بالفرض الصَّحيح والحِكمة البالغة؛ وهو ظُهور حالِ المُتَزَلْزِل في الإيمانِ والرّاسخ فيه، ولأجل ذلك أُخِّر وقوعُ الرُّؤيا إلى العام القابل. أو هوَ حال مِن الرُّؤيا؛ أي: متلبِّسة بالحقِّ ليست من قبيلِ أضغاث الأحلام[1]. فإنَّ ما رآه ﷺ كائنٌ لا محالة في وقتِه المُقَدَّر له وهو العام القابل[2]. وذلك أنَّ رُؤى الأنبياء عليهم السلام حقٌّ، لا يشوبُها شيء مِن أضغاث الأحلام؛ لأنَّهم معصومون مِن تسلُّط الشَّياطين. وقد طابقَ هذا الخبرُ الواقعَ؛ حيث دخل الرَّسول ﷺ مكَّة في السَّنة التي بعد الحديبية؛ وهي سنةُ ثمانٍ مِنَ الهجرة، وهل الصِّدق إلّا مطابقة الخبر للواقع، ومطابقة الواقعِ له؟؛ فالرُّؤيا إذا نسبتَها للواقع؛ طابَقَتهُ، فكانَ صِدْقًا، وإذا نَسَبْتَ الواقع إليها؛ طابَقها، فكانت حقًّا[3].

وجوَّز بعضُ أهل العلم أن تكونَ الباءُ للقسَمِ، والمُقْسَمُ بهِ هو (الحقّ) الّذي هو اسمٌ لله تعالى[4].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 273.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 131، وشيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 7/ 626.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 333.
(4) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 18/ 92، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 113.

### موقع جملةِ ﴿لَتَدۡخُلُنَّ﴾ ممّا قبلَها:

تحـقُّـقُ دخـولِ مكَّةَ وتأكيدُهُ

جملة ﴿لَتَدۡخُلُنَّ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ جوابُ القسَمِ المحذوفِ المدلولِ عليهِ باللّام الموطِّئة له في قوله: ﴿لَّقَدۡ﴾، والتَّقدير: والله لَتَدۡخُلُنَّ المسجدَ الحرام.

وعلى القولِ بأنَّ الباءَ في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ قسَمٌ؛ فإنَّ قوله: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ يكون جوابَه[1]. والأوَّل أظهر. ولامُ القسَم الدّاخلة على جوابه مفيدة لتأكيدِ تحقُّق مضمون الخبر. وأوثر التَّعبير بالفعل المُضارع في (تدخلنَّ)؛ لدِلالَتِه على الاستقبالِ، فالآية الكريمة قد نزلت قبلَ تحقُّق عمرة القضاءِ وفتحِ مكَّة، كما يُؤْذِنُ بذلكَ قولُه تعالى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

ويجوز أن تكون جملةُ ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ مستأنفةً استئنافا بيانيًّا عن جملة ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾، وذلك لأنَّ الجملة تورِثُ سؤالًا عن توقيتِ ظهورِ تأويل هذه الرُّؤيا، فجاء الجواب في قوله: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾، أي: سيكون ذلك في المستقبل لا محالةَ. وعلى هذا ينبغي الوقفُ عندَ قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾؛ ليَظْهَرَ مَعْنى الاستئنافِ[2].

### سرُّ التَّعبير بالاسم الظّاهر في قوله: ﴿ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ دون الضّمير:

الإيماءُ إلى شرفِ المَسجد الحرامِ وعَظَمَتِه

عُبِّر بالاسم الظّاهر ﴿ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ دون الضَّمير الرّاجِعِ إليه، فلم يردِ النَّظمُ القرآنيُّ: (لَتَدۡخُلُنَّه) مع تقدُّم ذِكرِهِ قبلُ في قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾؛ لطول الفصلِ بينَهُما، ولأنَّ في الإظهارِ تشريفًا وتعظيمًا للمسجد الحرامِ. والتَّعبير بالمسجد الحرامِ مرادًا به الحَرَمُ كُلُّهُ؛ إمّا على

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 113.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 199.

سبيل الكناية، أو على أنَّه مجاز مرسل علاقته الجزئيَّة، لكون المسجدِ الحرامِ أشرفَ ما في حدودِ الحرَمِ؛ وهوَ قد نالَ شرفَها بوجودِه فيهِ. على أنَّ بعض العلماءِ يرى أنَّ المسجدَ الحرامَ يُطلَقُ على الحرَمِ كُلّه ولا يختصُّ بمسجدِ الكعبةِ[1].

**الغرض من تعليقِ العِدَة بالمشيئة، ودلالة الاعتراضِ بها:**

تعليمُ العِباد أدبَ الاستثناءِ بالمَشيئَةِ

في تعليق العدَة بالمشيئة في قولِه تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ تعليمٌ للعباد أن يُقَدِّموا المشيئة عندَ كُلِّ عِدَةٍ في المستقبل، حيث اسْتَثْنى اللّه تعالى فيما يَعلم؛ ليَسْتَثْنيَ الخلقُ فيما لا يعلمونَ[2]. وهو من حُسن الأدب، فكلُّ شيء لم يَجِن موعِده ولم يقَعْ؛ فإنَّه لا يمكن الجزمُ بوُقوعه في المستقبل، ولا يُذكَر إلّا مقيَّدا بمشيئة اللّه تعالى. وفي ذلك تأكيدٌ لمضمون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: 23 - 24]. أو أنَّ غرضَ جُملَةِ الاستثناءِ هذه الإشعارُ بأنَّ بعضَهُم لا يدخلونَ المسجدَ الحرامَ؛ لموتٍ أو غَيبةٍ أو غيرِ ذلكَ، أو أنَّها حكايةٌ لما قاله مَلَكُ الرُّؤيا لرسولِ اللّه ﷺ، أو لما قالَه ﷺ لأصحابِه[3]. وفي هذا جوابٌ عمّا يُقال مِن أنَّه تعالى خالقٌ للأشياء كلِّها وعالمٌ بها قبل وقوعها، فكيف وقعَ التَّعليق منه تعالى بالمشيئة؟ أو ما يقال: إنَّ المخبِر إنَّما يعلِّق ما أخبر به بالمشيئةِ إذا كان له تردُّد وشكٌّ في وُقوعِه، واللّه تعالى منزَّه عن ذلك؛ فما وجه تعليقِ موعوده بالمشيئةِ؟ فكلُّ هذا يُجاب عنه بما تقدَّمَ. وفي هذا أيضًا تعريضٌ بأنّ وقوعَه مِن مشيئته تعالى، لا من جَلادَتهم وتدبيرهم[4].

(1) محمد علي آدم الإثيوبي، ذخيرة العقبى: 8/ 460.
(2) شيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 7/ 627.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 113.
(4) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 67، وشيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 7/ 627.

**سِرُّ التَّقييد بالحال ﴿ءَامِنِينَ﴾:**

نَشْرُ الطُّمأنينة في قلوبِ أهلِ الإيمانِ

لفظُ ﴿ءَامِنِينَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ حالٌ من فاعل ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ وهو واوُ الجماعةِ المحذوفةُ لِتوالي الأمثالِ. وغرض ذِكْرِ هذه الحال بثُّ الطُّمأنينة في قلوب المؤمنين وتأكيدُ ما سبق ذِكره من إنزالِ السَّكينة في قلوبهم.

**سِرُّ التَّقييد بالحالِ ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ و﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾:**

الإيماءُ إلى تَمَكُّنهم من إكمالِ العُمرَةِ

لَفْظا ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ و﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ منصوبانِ على الحالِ من فاعلِ ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ مثل ﴿ءَامِنِينَ﴾، ويجوزُ أنْ يكونَ لفظ ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ حالًا مِنْ ﴿ءَامِنِينَ﴾، فتكون متداخلةً[1]، و﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ معطوفة على ﴿مُحَلِّقِينَ﴾؛ وهي في المعنى حالٌ مِثْلُها. والمعنى: أنَّكم ستدخلونَ مكَّة آمنين وتتمكَّنون من أداء العُمرَةِ، وأنَّ بعضَكُم سَيَحْلِقُ شعرَه وبعضَكُم سيُقَصِّره إتمامًا لنُسُكِ العُمرَةِ. والتَّقْييد بالحالِ في قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ كنايةٌ عن تمكُّنهم من إتمام العُمرَة[2] التي مُنِعوا منها عامَ الحُديبية، وقد أُنْجَزوها بعدَ هذا الوعدِ في العام الموالي، وذلك عامَ سبعٍ في عُمرة القضاء، ثُمَّ فتحوا مكَّة عامَ ثمانٍ، وحَجّوا مع الرَّسول ﷺ حجَّة الوداع عام عَشْرٍ مِنَ الهجرة، فأُنْجِزَ الوعدُ على أتَمِّ وجه وأكمله.

**نُكْتَةُ التَّضعيف في ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ و﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾، وسِرُّ التَّرتيب بين الحالين:**

الحَلْقُ في الحجِّ والعمرة أفضَلُ مِنَ التَّقصير

في التَّعبير بصيغة التَّفعيل ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ فاعلي الحَلْقِ كثيرون، وكذا ما تعلَّق بفاعلي التَّقصير، كما يدلُّ عليه التَّضعيفُ في لفظ ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾. وفي تَقْديم المحلِّقين إيماءٌ إلى أنَّهم أكثَرُ عددًا من المقصِّرين[3]، أو فيه ترغيبٌ للعبادِ أن يكونوا في زُمرة المحلِّقين؛ لكون الحَلْقِ في النُّسكِ أفضلَ.

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 719.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 200.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 334.

### موقعُ ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ممّا قبلها:

تعـدُّد المعـاني بتعَدُّد موقِعِ الجُملَةِ

الجملةُ في قول الله تعالى: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ يجوزُ أنْ تكونَ مستأنفةً استئنافًا بيانيًّا، كأنَّه قيل: كَيْفَ حالُهم بعد الدُّخول؟ فأُجيبَ بأنَّكم لا تخافون بعد الدُّخول[1]، ويكون بين الجملَة وما قبلَها شبهُ كمالِ الاتِّصالِ. وفائدة الاستئنافِ بيانُ أنَّهم لا يخافون بعدَ تحقُّق ذلك الوعد بالدُّخول؛ لئلّا يظنّوا أنَّ الأمن حاصلٌ بالدُّخول وحدَهُ، وأنَّه غير مستمرٍّ معهم. فإنَّ الدُّخول حال الأمنِ لا يستلزِمُ الأمنَ بعدَهُ، ولذا قال سبحانَهُ: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أي: لا يتجدَّد لكم خوفٌ بعد ذلك إلى أن تدخلوا عليهم عامَ الفتح قاهِرين لهم بالنَّصرِ[2]. ويجوز أنْ تَكونَ جملة ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ حالًا ثالثةً من فاعل ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ وهو واوُ الجماعةِ المحذوفةُ لتوالي الأمثالِ؛ وهيَ حالٌ مؤكّدة[3]. ويجوز أنْ تكونَ حالًا من ضمير ﴿ءَامِنِينَ﴾ أو ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ و﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾. فإن كانَت حالًا مِنْ ﴿ءَامِنِينَ﴾ أو حالًا من فاعل ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ فهي حالٌ مؤكِّدةٌ، ويكونُ لفظُ ﴿ءَامِنِينَ﴾ حالًا مقاربةً، ويكون ما بعدها - أي: ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ و﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ - حالًا مقدَّرةً[4]، إلاّ أنَّ قولَه: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ إذا جُعِل حالًا؛ فإنَّها مقارنةٌ أيضًا[5].

### الفَرق بين الأمنِ ﴿ءَامِنِينَ﴾ ونفيِ الخَوْفِ ﴿لَا تَخَافُونَ﴾:

بيان كمالِ الأمنِ بالنَّصِّ على استمرارِ عدَمِ الخَوْفِ

تعقيبُ قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ بعد قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ مع أنَّ أصلَ المعنى قد يكون واحدًا؛ فيه فائدةٌ جليلةٌ؛ وهو أنَّ في النَّصِّ على عدمِ الخوف بعد ذِكْرِ الأمن دلالةٌ على استمرار انتفاءِ الخوف، وفيه بيانُ كمال الأمن؛ وذلك لأنَّ الشَّأنَ بعد الحَلْقِ أنْ يَخْرُج الإنسانُ

(1) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 18/ 94.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 334.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 113.
(4) القول بأن: (محلقين) و(مقصّرين) حالان مقدرتان، يُدفعُ به ما قد يقال: إنّ حال الدُّخول هو حال الإحرام، وهو لا يتأتى معه حلق ولا تقصير، يُنظر: حاشية الجمل: 7/ 228.
(5) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 719، 720.

عن الإحرام، فلا يحرُم عليه القِتال، وكان عند أهل مكَّة يحرمُ قِتال مَن أحرم ومَن دخل الحرمَ، فقال: تَدْخلون آمنين، وتَحْلِقون، ويبقى أمنُكُم بعدَ خُروجِكُم عنِ الإحرام[1].

### معنى الفاءِ ودِلالَتُها في قوله: ﴿فَعَلِمَ﴾:

الفاءُ في ﴿فَعَلِمَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ عاطفةٌ ما بعدها على جملةِ ﴿صَدَقَ﴾، والتَّرتيب الّذي تُفيده الفاءُ ليس ترتيبًا وجوديًّا زمنيًّا، وإنَّما هو ترتيبٌ ذِكْريٌّ؛ لأنَّ عِلْمَ الله تعالى أزليٌّ سبق وجودَ كلِّ الأشياءِ، ومِنْها ما تضمَّنته الآية من أخبارٍ، فالفاءُ لِتَفْريعِ الأخبار لا لتفريع المخبَر به؛ إذْ عِلْمُ الله سُبحانَهُ سابِقٌ على دخولِهم وعلى الرُّؤيا المؤذنةِ بدُخولهم[2].

الـفـاءُ لِـتَرْتـيـبِ الأخبار لا لتَرْتيب المُخْبَرِ به

### دلالة التَّعبير بالفِعْلِ الماضي (علم):

عبّر عَن علمِ الله تعالى بصيغةِ الفعلِ الماضي في قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾؛ للدّلالة على سَبْقِ تحقُّقه لِوقوعِ المعلومِ المخبَر به في الآية الكريمةِ؛ وهو دُخولُهم المسجدَ الحرام آمنين، وكذا الرّؤيا المباركة التي آذنَت به.

عِلمُ الله تَعالى أزليٌّ

### معنى ﴿مَا﴾ ودلالتُها في قوله: ﴿مَا لَمْ﴾:

﴿مَا﴾ في قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ اسم موصولٌ بمعنى الّذي، والمرادُ به الحِكْمَةُ الّتي عَلِمَها الله تعالى وجَهِلوها هُم حينَ كفّ أيديَهم عَنِ القتالِ؛ لئلّا يَقَعوا في خَطيئَةِ قَتلِ المؤمنين المُسْتَخْفين بينَ المشركين؛ وهو الّذي ذُكر في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ أي: إنَّكُم لَو لَم تُصالِحوهم في تأخيرِ الدُّخول إلى السَّنة القابلة، ودخلتُم عليهم في هذه السَّنة عنوةً بالمُقاتلة والحربِ؛

كـثـرةُ الـفـوائـد والـعَـوائـد التي نالَها المُؤْمِنون مِـن تـأخُّـر دخولهم الحرَمَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 87.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 200.

لأَهْلَكْتُم المؤمنين والمؤمنات بغيرِ علم، ولأصابَتكُم منهم معرَّة[1]. فَبِعِلْمِه سُبْحانه عافاكُم مِن هذه المعرَّة، فَكَفَّكم عن القتالِ. ولمّا كانت هذه الحكمةُ مُبْهَمَةً عنهُم خافيةً عليهم قبلَ أن يَكْشِفَها الله تعالى لهم؛ أوثرَ التَّعبير بـ ﴿مَا﴾ دون (الّذي). أو لأنَّ ﴿مَا﴾ أدلُّ على العموم وعدِم التَّعيين؛ لكونِه اسمًا موصولًا مشتركًا. وفي ذلك إيماءٌ إلى كثرة الفوائدِ التي جناها المؤمنون بهذا التَّأخير عَن دخول البيت الحرام، ولم يكونوا يتوَقَّعونها. ومنها أنَّه ﷺ لمّا رجَعَ من الحديبية، مَضى منها إلى خيبرَ فَفَتَحَها، ورجع بأموالِ خيبرَ وأخَذ مِنَ العُدَّة والقوَّة أضعافَ ما كان فيه في ذلكَ العامِ، وأقبَل إلى مكَّة على أُهْبَةٍ وقوَّة وعُدَّة بأضعافِ ذلكَ[2].

**دلالة النَّفي بـ ﴿لَمْ﴾، ودلالة التَّعبير بالفعل المضارع ﴿تَعْلَمُواْ﴾:**

عدَمُ عِلْمِ العِباد بالحِكَمِ الإلهيَّة حتّى يُعْلِمَهُم الله تَعالى بِها

﴿لَمْ﴾ حرفُ نفيٍ وجزمٍ للفعل المضارع وقَلْبٍ لدلالَته منَ الحالِ أو الاستقبالِ إلى دلالته على المُضيِّ، فالفعلُ ﴿تَعْلَمُواْ﴾ وإن كانَ بصيغة المُضارع، إلّا أنَّ دخول ﴿لَمْ﴾ عليهِ؛ قلبَ معناهُ إلى الماضي. وأوثِرَ النَّفي هنا بـ ﴿لَمْ﴾ للدّلالة على نفي عِلْمهم بالحكمة من كفِّهم عن قتال المشركين عام الحُديبية، حتّى أبرزَ الله تعالى لهم حكمةَ هذا الكفّ بعد ذلك، وهو وجودُ مؤمنين مُسْتَخْفين في صفوفِ المُشْرِكين، فعَلِموا بذلك هذه الحكمةَ بعدَ أن غابَت عنهم أوَّلَ الأمر. وفي اختيار حرف النَّفي ﴿لَمْ﴾ أيضًا فائدةٌ أخرى؛ وهو أن يُقْرَنَ معها الفعلُ المضارعُ؛ إذ هيَ مختصَّةٌ بهِ، فيكون النَّفيُ متسلِّطًا على المضارع، وهو وإن كان مدلولُهُ هنا ماضيًا؛ إلّا أنَّ لفظَهُ مفيدٌ استمرارَ نفي عِلْمهم حتّى أعلمهمُ الله تَعالى بذلكَ.

(1) شيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي 7/ 628.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 291.

### معنى الفاءِ ودِلالَتُها ﴿فَجَعَلَ﴾:

طَمأنَةُ نُفوسِ المؤمنينَ وإخمادُ فِتنَةِ المُنافقينَ

الفاءُ في ﴿فَجَعَلَ﴾ من قولِ اللّه تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ عاطفةٌ ما بعدها على ما قبلها. والتَّعبير بها يدلُّ على التَّرتيب الزَّمنيّ والتَّعقيب الفوريّ بلا تراخٍ، بل إنَّه قد أُنجِز بلا تأخير. فقد كان فتحُ خيبرَ المُشار إليه في الآية في قولِه تعالى: ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ عَقِبَ عَوْدَته ﷺ من الحُديبية مباشرةً؛ حيثُ سَكَنَت به قلوبُ المؤمنين وأُخمدت النّار التي حاول المنافقون والّذين في قلوبهم مرضٌ إضرامها في قلوب المؤمنين، فهدأت ثورَةُ أنفُسِهم بنصر اللّه تَعالى واطمأنَّت.

### دلالة التَّعبير بفعْلِ الجَعْلِ مادَّةً وصيغةً:

تحقُّق الفَتحِ في المستقبَل حتّى كأنَّه وقع وانْقَضى

أوثر التَّعبير بالفعل (جعل) في هذا التَّركيب، فقال سُبحانَهُ: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ دون أن يَرِدَ النَّظم القرآنيُّ: (ففَتَحَ لكُم من دون ذلك فتحًا قريبا) أو نحو ذلكَ، ليفيد أنَّ هذا الفتح قد أُنجِز دون تأخيرٍ، فقد كان فتحُ خَيبر عَقِبَ انصرافِه ﷺ عن الحُديبية[1]. وفيه أيضًا دِلالةٌ على أنَّ أمر هذا الفتحِ عجيبٌ، وأنَّه ما كان ليحصُل مثلُه لولا أنَّ اللّه تعالى كوَّنه. والتَّعبيرُ بصيغة الماضي في (جعل) فيه تنزيلُ المستقبَلِ المُحَقَّق منزلةَ الماضي؛ أو عُبِّر بالمُضيِّ لتضمين فعل (جعَلَ) معنى (قَدَّرَ)[2].

### معنى ﴿مِن﴾ ودلالَتُها في قوله: ﴿مِن دُونِ﴾:

أثَرُ معاني الحُروف في بيانِ المَعاني القرآنيّة

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن دُونِ ذَلِكَ﴾ يجوزُ أن تكون ابتدائيَّةً، أي: فابْتَدَأ لَكُم مِن قبلِ تحقُّق مصداقِ الرُّؤيا فتحًا قريبًا. والفتح القريبُ هو فتح خيبرَ الذي كان سنة سبعٍ مِن الهجرة، ومِن شأن وُقوعه قبلَ دخولِهم مكَّة كما وُعِدوا أن يَدْخُلوها وهُم مُنْتَشونَ بنَشْوَةِ النَّصر، فتَقْوى عَزائِمُهُم.

(1) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 18/ 95.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 200.

### الغرض من التَّعبير باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

الإشارَةُ إلى عُلوِّ مكانة البيتِ الحرام، وشرَفِ نُسُكِ العُمرة

جاءَ التَّعبير باسم الإشارة الدّالِّ على البُعْدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ للإيماء إلى علوِّ منزلة البيت الحرامِ الّذي كانت تَتوقُ أنفسُهم إلى دُخوله، وفيه بيانُ علوِّ مكانة النُّسك الّذي بذَلوا لأجلِ إتمامه كلَّ الجُهْد، فعانوا مِن الصَّدِّ عن البيت الحرام بأنِ انتظروا عامًا كاملًا حتّى يسّر الله تعالى لهم العودةَ إليه في عمرة القضاء. ومن أهل العلْم مَن يرى أنَّ اسم الإشارةِ يُرادُ به فتحُ مكَّة[1]، ويأباهُ أنَّ فتح مكَّة لم يقع في العام القابل من عام الحُديبية، بل كان في السَّنة الثّامنة[2]. فصُلْحُ الحُديبية كان سنة سِتٍّ، وكان فتح مكَّة سنة ثمانٍ، وبينَهُما سنةُ سَبْعٍ التي كانت فيها عمرةُ القضاءِ.

### الغرض مِنْ تقديمِ ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ على المفعولِ به ﴿فَتْحًا﴾:

التَّنفيسُ عن المؤمنينَ بفَتحِ خَيْبَرَ

قُدِّم ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ على المفعولِ به ﴿فَتْحًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ لإرادَةِ الاهتمام بذلك النَّصر الّذي شرحَ الله تعالى به صُدور المؤمنين؛ وهو فَتحُ خيبرَ الّذي انْتَشَوْا به، وأُزيلَ عَنْهُم ما لاقَوه من عناء وحزنٍ نتيجةَ صَدِّهم عن دخولِ البيتِ الحرام عامَ الحُديبية. ويُضافُ إلى هذا: أنَّ تقديمَ ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ وما ترتَّب عليه من تأخير ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فيه مراعاةٌ للتَّناسُبِ الصَّوتي للآيِ القرآنيَّة.

### الغرَضُ مِن وصفِ الفَتحِ بالقُرْب:

سُرْعَةُ جَبْرِ الله تعالى لقُلوبِ أهلِ الإيمانِ

وُصِفَ الفتحُ بالقُرْبِ في قول الله ﷻ: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ لكونِه قريبا من الرُّؤيا، فيكون الفَتحُ هو صُلْحَ الحُديبية، أو أنَّه كانَ قريبًا مِنَ العَوْدَةِ مِن الحُديبية؛ وفي ذلك إشارةٌ إلى فتح

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 346.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 500، والقونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 18/ 95، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 275.

خيبرَ الّذي أعقَب العودةَ مِنَ الحُدَيبية، وعلى هذا أو ذاكَ - أو على كليهما معًا - فإنَّ الوَصْفَ بالقُرْب دليلٌ على أنَّ الله تعالى عوّض المؤمنين ونفّس عنهم وشرحَ صُدورَهُم في وقتٍ قريبٍ بعدَ المُعاناة التي عانَوْها بسبب صَدّهم عنِ البيت الحرام، وأعادَ لهم اليقينَ في قُلوبِهم، بحيث لم يُترَكْ لإرجافِ المُنافقين وتشكيكِهم مكانٌ في هذه القلوبِ الطّاهرةِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"